تلخيص محاضرة

كيف نجدد الإيمان في في قلوبنا؟

رواء الاثنين | د.هند القحطاني

١٥ / ٤ / ١٤٤٢ هـ

٣٠ / ١١ / ٢٠٢٠ م

قد يحدث معنا في حياتنا اليومية أن نستنكر شعور قلوبنا ونشعر بأنها ما بين مدٍ وجزر. تأتي عليك أيام تشعر بارتفاع منسوب الإيمان في قلبك وازدياد شعورك بالمتعة أثناء القيام بالطاعات، وربما تأتي عليك أيام تستيقظ فترى نفسك فاتر الهمة لا تشعر بأي رغبة لفعل الخير ولا لمجاهدة النفس ولا لمقاومة أي نوع من الخطايا أو الذنوب.

فما الذي يحصل لهذه القلوب؟ ولماذا أحيانًا نشعر أننا بين المد والجزر والعلو والهبوط؟

ما يحصل حقيقة هو ما حدّث عنه النبي ﷺ:" إنَّ الإيمانَ لَيَخْلَقُ في جَوْفِ أحدِكُمْ كَما يَخلَقُ الثَّوبُ، فاسْألُوا اللهَ تعالىَ أنْ يُجَدِّدَ الإيمانَ في قُلوبِكمْ"

المصدر: صحيح الجامع

معنى يخلق: أي يبلى ويتهتك. فحين تستخدم نفس الموعظة والأسلوب والدليل يشعر الإنسان أن لا شيء يحركه ولا شيء يتغير في قلبه، هُنا يكون المرء بحاجة إلى تجديد إيمانه وقلبه.

كيف نجدد الإيمان في قلوبنا؟

١- جدد علاقتك مع القرآن ..

ليس فقط قراءة وإنما تدبرًا وعملاً

أن تنقل قلبك من وطن الدنيا فتسكنه في وطن الآخرة، ثم تُقبل بهذا كله على معاني القرآن واستجلائها وتدبرها وفهم ما يُراد منها وما نزلت لأجله، وخذ نصيبك من كل آية من آياته وأنزلها على داء قلبك فإذا نزلت الآيات على داء القلب برأ القلب من كل كدر.

يذكر أنه في أحد الأيام كان النبي ﷺ يقرأ في سورة المائدة، قوله تعالى: "إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" (المائدة:118) حيث بقي في هذه الآية ليلة كاملة وهو يرددها، فما الذي وقر في قلب النبي ﷺ!

دخَلْتُ أنا وعُبيدُ بنُ عُميرٍ على عائشةَ فقالت لِعُبيدِ بنِ عُميرٍ-رضي الله عنهما-: قد آن لك أنْ تزورَنا فقال : أقولُ يا أمَّهْ كما قال الأوَّلُ : زُرْ غِبًّا تزدَدْ حُبًّا قال : فقالت : دعُونا مِن رَطانتِكم هذه قال ابنُ عُميرٍ : أخبِرينا بأعجَبِ شيءٍ رأَيْتِه مِن رسولِ اللهِ ﷺ قال : فسكَتَتْ ثمَّ قالت : لَمَّا كان ليلةٌ مِن اللَّيالي قال : (يا عائشةُ ذَرِيني أتعبَّدِ اللَّيلةَ لربيِّ)

قُلْتُ : واللهِ إنيِّ لَأُحِبُّ قُرْبَك وأُحِبُّ ما سرَّك قالت : فقام فتطهَّر ثمَّ قام يُصَليِّ قالت : فلم يزَلْ يبكي حتَّى بَلَّ حجرَه قالت : ثمَّ بكى فلم يزَلْ يبكي حتَّى بَلَّ لِحيتَه قالت : ثمَّ بكى فلم يزَلْ يبكي حتَّى بَلَّ الأرضَ فجاء بلالٌ يُؤذِنُه بالصَّلاةِ فلمَّا رآه يبكي قال : يا رسولَ اللهِ لِمَ تَبكي وقد غفَر اللهُ لك ما تقدَّم وما تأخَّر ؟ قال :أفلا أكونُ عبدًا شكورًا لقد نزَلَتْ عليَّ اللَّيلةَ آيةٌ، ويلٌ لِمَن قرَأها ولم يتفكَّرْ فيها، قال تعالى: "وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ")

(آل عمران:١٩٠) /المصدر: صحيح ابن حيان

هذه الآيات عندما قرأها النبي ﷺ وبكى بها، علق على هذا الحديث ابن القيم-رحمه الله- فقال: علاج ضعف الإيمان في داخل القلب. وإذا أردت أن تجود إيمانك، فملاك ذلك أمران:

الأول |أن تنقل قلبك من وطن الدنيا فتسكنه في وطن الآخرة.

الثاني | تقبل بهذا كله على معاني القرآن واستجلائها وتدبرها، فلا تتدبر القرآن وأنت تقبع في الدنيا ثم تتساءل عن عدم إحساسك به.

٢- استشعر عظمة الله عز وجل..

كيف نستشعر عظمة الله عز وجل؟

معرفة الله عز وجل لا يمكن الوصول إليها إلا من خلال العلم الذي جاءنا من نبيه عليه الصلاة والسلام، ولذلك قال رسول الله ﷺ: " إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وتِسْعِينَ اسْمًا مِئَةً إِلَّا واحِدًا، مَن أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ" المصدر: صحيح البخاري

وقد تكلم العلماء كثيرًا في معنى الإحصاء، هل هو فقط الحفظ أو أنه مجرد فهم الأسماء؟ والأرجح أنها تشمل الإثنين معًا، والأهم من ذلك كله هو أن يعمل بها في حياته.فحينما تدعو وتقول: يا غفور اغفر لي. أنت هنا تدعو الله عز وجل لتفريج كربتك بما يتناسب بها مع أسماء الله، فيزيد استشعارك لعظمة الله. ولذلك حينما نقول يا بصير فالله يبصر بالطريقة التي تليق به، يبصر دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء. عندما تعلم أن الله لا تغيب عنه هذه النملة، فهل تعتقد أنك ستغيب عنه؟ الله بصيرٌ بنا، حينما تعلم أن الله مطلعٌ عليك يجب أن يرجف قلبك خشيةً من فعل أي معصية لا ترضيه.

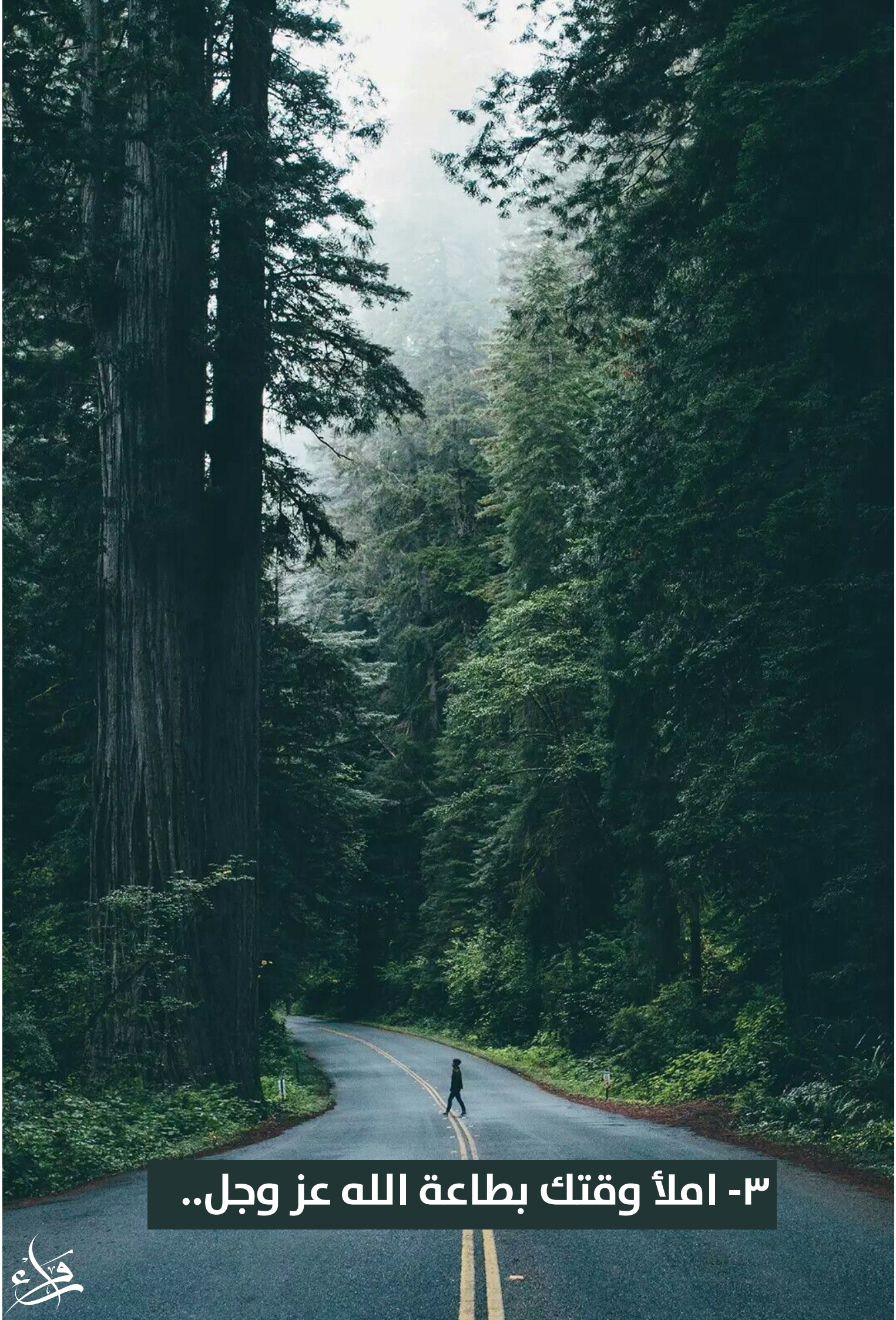
٣- املأ وقتك بطاعة الله عز وجل..

نفسك إن لم تشغلها بطاعة الله شغلتك بالمعصية ولابد. يذكر أن أحد السلف شبه النفس بالرحى فقال: هي كالرحى التي لابد أن تطحن فإن لم يكن فيها خيراً طحنته طحنت شرًا. لابد أن يكون فيها شيئًا تطحنه، فنفسك لا تستطيع أن تفعل لها حركة فتقف مدى الحياة وإنما نفسك لابد أن تشتغل بشيء يفيد دينك ونفسك ومجتمعك؛ نفسك إن لم تكن معمورة بالطاعة ستشغلك الدنيا بملهياتها التي لا تنتهي.

فتبدأ بالمباحات إلى أن يضعف إيمانك، فتبدأ المباحات لا ترضيك وتريد شيء من الحرام وهكذا، ولذلك إن لم تشغلها أنت بالطاعة شغلتك هي بالمعصية. واعلم أن كل ما عمّرت يومك بالطاعة كنت إلى الجنة أقرب، فمن حسن الظن والثقة بالله أنه سيجازيك بالعمل القليل بالخير الكثير، وهذا من معاني اسم الله الشكور لابن تيمية-رحمه الله- وجزء من هذا الاسم عندما تعمل عمل الخير تشعر بنوع من السعادة بعده وقال هذا من فضل الله على العبد.

٤- سارع إلى فعل الطاعات..
ولا تتردد في ترك المعاصي

لا تتردد ولا تتأخر في العمل الصالح، قال تعالى: "وَسَارِعُواْ إِلَىَ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ "(آل عمران:١٣٣)

قال النبي ﷺ: "التُّؤَدَةُ في كلِّ شيءٍ خيرٌ، إلا في عملِ الآخرةِ" المصدر: صحيح الجامع

التأني في كل قراراتك هذا خير، لكن في عمل الآخرة لاتتردد ولاتفكر به مرتين؛ علمت أن هذا ما يريده الله وأن هذا الفعل واجب فلا تدرس إيجابياته وسلبياته، أي عمل من الحرام تعرفه موجود في حياتك سارع إلى تركه دون أن تتردد في ذلك.

لديك مجموعة يشجعونك على معصية الله ولاينكرون عليك؟ اجعل بينك وبينهم حاجز دون تردد وتفكير. انظر من الذي يقربك للخير ومن الذي يقربك للشر وضع الحدود على أساس ذلك.

كيف تميز نفسك إذا كنت من الناس التي تسارع للخير أم لا: انظر إلى يومك، عندما يفوت شيء من الخير هل تتحسف عليه؟هل يؤنبك ضميرك عند فعل المعصية وتتوب ولا تعود لها؟ هل تحاول تعويض نقص الطاعات في يومك؟

٥- انظر في خواتيم الناس..
كيف كان حالهم؟

انظر فيمن حولك وتأمل في طريقة وفاتهم،لاتجعل سماع أخبار الراحلين تمر على مسمعك مرورًا عابرًا. فكر بكل شخص،ماذا كان يفعل في حياته؟ماذا بقي له بعد موته؟بماذا ختم له؟هذا من تنتشر فضيلته بين الناس كالمسك. وانظر إلى من قد يخُتم له بعملٍ سيء فينتشر خبره بين الناس للاستغفار له عمّا فعل.. فما الذي تود أن يبقى لك بعد وفاتك؟

عندما نقرأ في سير السلف والصالحين،نجد أن هناك كتب مخصصة للحديث عن ذلك اليوم! لماذا؟ لأن النبي ﷺ قال: "أكثروا ذكرَ هادم اللذاتِ الموتِ"المصدر: مسائل أحمد لأبي داوود.

هذا الحديث لا نقوله لمجرد التخويف بالموت؛ إنما لأجل أن تتذكر دومًا أن أي لذة أنت بها الآن ستنتهي، تذكر أنه سيأتينا يوم للحساب! فتصبح لاتتحمس لهذه اللذة ولا تتشفى لها؛ لأنها ستنتهي. متعتك بالدنيا لا تستحق العذاب بالآخرة. تذكر دومًا اللحظة الأخيرة ستصبح أقل إقدامًا للذنوب وأكثر حرصًا على الطاعات.

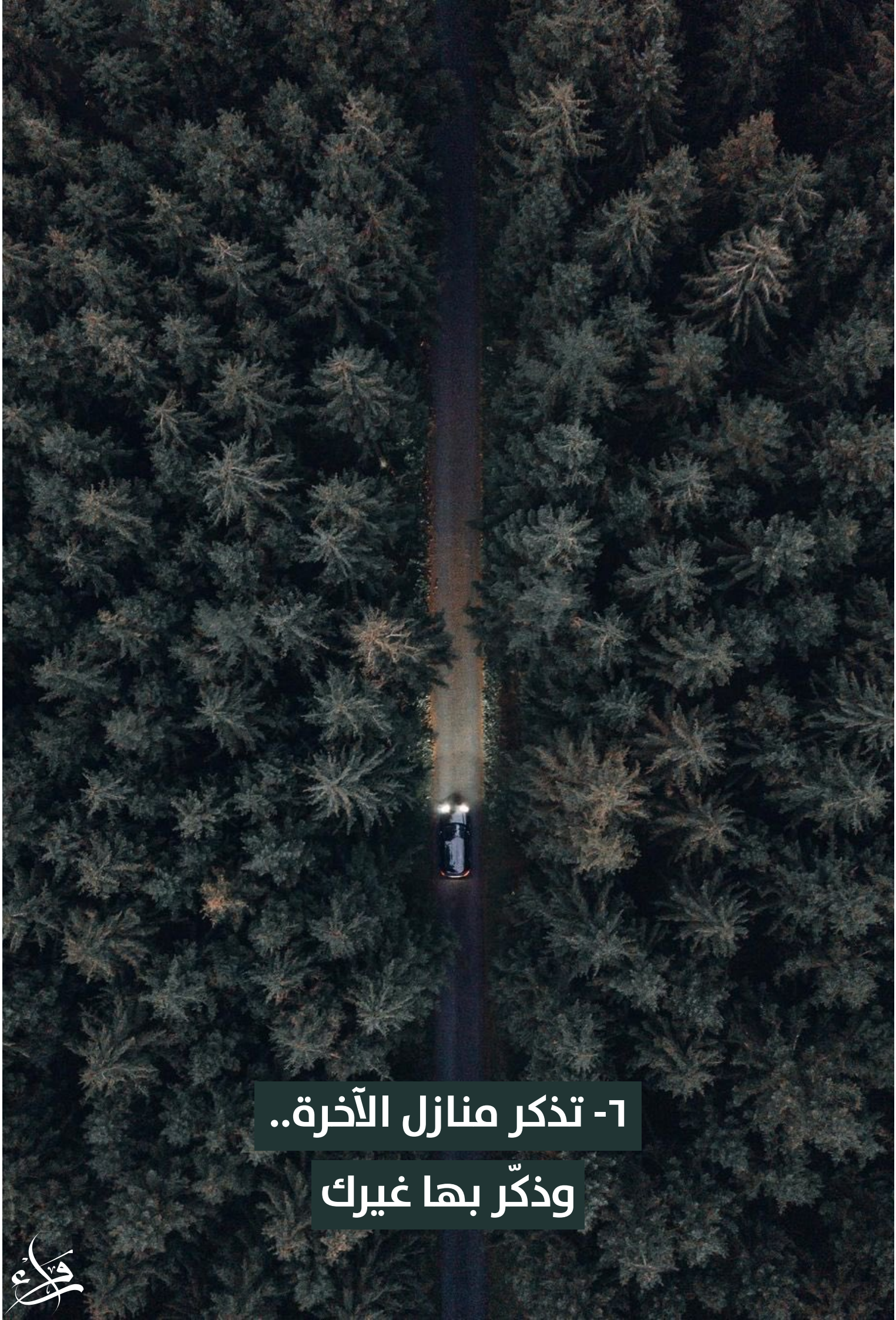

٦- تذكر منازل الآخرة..

وذكّر بها غيرك

هناك أشياء يجب ألّا تموت في ذاكرتك، من هذه الأشياء هي منازل الآخرة، يجب أن تكون حاضرة لديك حتى تتذكرها أنت وتذكّر فيها من حولك ومن بعدك أيضًا.

نحن في الدنيا نعلم كل تفاصيل حياتنا، ومستعدين لمعرفة كل التفاصيل القادمة أيضًا مع أنها قد تحدث وقد لا تحدث.

فأنت مثلاً تعين ولدك وتنصحه بالتفوق في مدرسته حتى يدخل في الجامعة ويتخرج بمعدل ممتاز حتى يتوظف بعدها في مكان مرموق ويكون له منصب وأثر في مكان عمله... وأنت لاتعلم هل سيعيش أم لا.

تخيل كمية التفاصيل التي رسمتها لحياة ابنك في مخيلتك وأنت لا تضمن حياته من الأساس!

كم مرة تحدثت مع ابنك حول يوم القيامة؟ الصراط المستقيم؟ ميزان الحسنات والسيئات؟ لحظة الوقوف تحت الشمس ومنازل الجنة ومنازل النار؟

هذه الأمور مهم أن نتعلمها ونعلمها أيضًا؛ لأنها تجعلك تعيش حياة متوازنة دون أن تنسى الآخرة.

عندما يأتي ابنك الذي ربيته وكبرته على معرفة الله ومعرفة حدوده ثم يتعرض لأي موقف كان؛ لن يكون مهزوز من الداخل أثناء مواجهته للموقف ولن يكون هدفًا للشيطان؛ لأنه سيكون يعلم مآلات الأمور ويعلم أن هناك آخرة ويوم حساب و هناك جنة ونار.

كيف تراجع مع ابنك دروسه وإنجازاته وتريد له دومًا أن يكون متفوقًا وأنت غير متأكد أنه سيكون حي في كل مراحل حياته!

أما أنت هنا متأكد ومتيقن من أنه سيمر بكل هذه المنازل يوم القيامة وسيمر بكل هذه الاختبارات، لن يفلت من أي منزلة من هذه المنازل، لا محالة سيكون فيها كلها.

عندما يعلم ماذا سيحصل في يوم القيامة، سيكون استعداده واستحضاره لذلك اليوم أقوى.

٧- اجعل لك نصيب من فضائل الأعمال..

هناك فرق بين أن تجعل قلبكَ معمورًا بالطاعة.. وأن تُسارِع فيها.. وأن تتعبّد الله بها.

ودائمًا ما نتحدّث عن مثلث الحياة والأركان الثلاثة التي تستقيم بها الحياة، وهي: العلم، والعمل، والعبادة.

وهُناك أحاديث خاصّة تأتي بأعمال لها نصيبٌ في القلب، منها: يقول النبي ﷺ : "ما من أحدٍ يتوضَّأُ فيحسنُ الوضوءَ ويُصلِّي ركعتَينِ يُقبِلُ بقلبِه ووجهِه عليهما إلا وجبتْ له الجنَّةُ" المصدر: سنن أبي داود

ومما يتعبّد الله به، قوله سبحانه: "خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا" (التوبة:١٠٣)

لا تكُن صدقتك عاديّة! تذكّر هذه الآية، واحتسب صدقتك عند الله، فهيَ نوع من أنواع تزكية النفس، حدد لك معدّل معيّن للصدقة، ولا تتنازل عنه.

٨- تفاعل مع آياتِ الله في الكون..

هذه نقطة مهمّة جدًا، ألا تعيش في حياتك حياة ماديّة، يجب أن يكون قلبك حسّاس بما يحصُل في هذا الكَون. تقول عائشة -رضي الله عنها- عن النبي ﷺ: "كانَ إذَا رَأَى غَيْمًا أوْ رِيحًا عُرِفَ في وجْهِهِ، قالَتْ: يا رَسولَ اللَّهِ إنَّ النَّاسَ إذَا رَأَوْا الغَيْمَ فَرِحُوا رَجَاءَ أنْ يَكونَ فيه المَطَرُ، وأَرَاكَ إذَا رَأَيْتَهُ عُرِفَ في وجْهِكَ الكَرَاهيةُ، فَقالَ: يا عَائِشَةُ ما يُؤْمِنِّي أنْ يَكونَ فيه عَذَابٌ؟ عُذِّبَ قَوْمٌ بالرِّيحِ، وقدْ رَأَى قَوْمٌ العَذَابَ، فَقالوا: هذا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا"

المصدر: صحيح البخاري

تخيّلوا أنّ الغيم الذي نظنّه مباشرةً استحقاق، الرسول ﷺ الذي قال الله عز وجلّ عنه: "وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ" (الأنفال:٣٣) كانَ يخاف أن يكونَ فيه شيء من العذاب!

لاحظوا حالَ الرسول ﷺ، وقارنوه بحالنا عند الكسوف والخسوف، وكيف ننام ولا نهتمّ، وكيفَ تحوّل كذلك لفعاليّة بدلًا من أن ترجف له قلوبنا.

يجب على المؤمن ألا تمر عليه هذه الأحداث مرورًا عابرًا إنما يجب أن تحرّك الإيمان في قلبه.

٩- أن تخلص لله عز وجل في عملك..

من الأشياء التي تجدد الإيمان في القلب أنك تتلمس إخلاصك في العمل.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: "إنَّ اللهَ سيُخَلِّصُ رجلًا من أمتي على رؤوسِ الخلائقِ يومَ القيامة فينشُرُ عليه تسعةً وتسعينَ سِجِلًّا ، كلُّ سِجِلٍّ مثلُ مدِّ البصرِ ثم يقولُ : أتُنكِرُ من هذا شيئًا ؟ أظلَمَكَ كَتَبتي الحافظونَ ؟ يقولُ : لا يا ربِّ . فيقولُ : أفَلَكَ عُذرٌ ؟ فيقولُ : لا يا ربِّ ، فيقولُ : بلى إنَّ لكَ عندنا حسنةً وإنِّه لا ظلمَ عليكَ اليومَ ، فيُخرِجُ بِطاقةً فيها أشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه ، فيقولُ : احضُرْ وزنَكَ ، فيقولُ : يا ربِّ ما هذهِ البِطاقةُ معَ هذه السِّجِلَّاتِ ؟ فقال فإنك لا تُظلَمُ . قال : فتوضعُ السِّجِلَّاتُ في كِفَّةٍ والبطاقةُ في كِفَّةٍ فطاشتِ السِّجِلَّاتُ وثقُلتِ البِطاقةُ ، ولا يَثقُلُ معَ اسمِ اللهِ شيءٌ"

المصدر : الترغيب والترهيب

قال النبي ﷺ: "ما مِن نَفسٍ تمَوتُ تشهَدُ أن لا إلَه إلَّا اللَّهُ وأنيِّ رسولُ اللَّهِ ﷺ يرجِعُ ذلِك إلى قلبِ موقن إلَّا غفَرَ اللَّهُ لَها"

المصدر : صحيح ابن ماجه

١٠- استشعار لذة الانكسار والافتقار بين يدي الله عز وجل..

النبي ﷺ يقول: "أَقْرَبُ ما يَكونُ العَبْدُ مِن رَبِّهِ، وهو ساجِدٌ، فأكْثِرُوا الدُّعاءَ" المصدر: صحيح مسلم

لأنك في حالة السجود تكون في أذل نقطة على الأرض، وجهك وجبينك موجود على الأرض.

تخيل أن تقول هذا الكلام وأنت ساجد في الأرض!

يا رب.. عبيدك سواي كثير.. يارب الناس الصالحين كثير، فلان وفلان كلهم أناس صالحين وليس لي أنا سيد سواك، أنت لديك يا رب عبيد سواي كثير لكن أنا ليس لي غيرك لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك يا رب، أسألك مسألة المسكين وأبتهل إليك ابتهال الخاضع الذليل وأدعوك دعاء الخاضع الذليل سؤال من خضعت لك رقبته ورغم لك أنفه وفاضت لك عيناه وذل لك قلبه ثم تسأل مسألتك.

استشعر أن الله ينظر إليك ويسمع دعائك ويعلم بحالك، أعط نفسك هذه الفرصة في الانكسار وستجد قلبك يحن لقرب الله وستجد اللذة بالقرب من الله ومناجاته،و حلاوة الدعاء وحلاوة المناجاة عندما تبكي وتتذلل وأنت خاشع لله عز وجل.

لـذيـذ الانـكسار والمـناجـاة بين يـدي الـله عـز وجـل ولذلك الانسان بين شيئين:

• أن تخاف من عذاب الله الحسي، قال تعالى: "قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِۦٓ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ"(الأنعام:٤٦)

• أن تخاف من عذاب الله المعنوي، قال تعالى: "سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا" (الأعراف:١٤٦)

أن يسلبك الرؤية الحقيقية، ونوع من أنواع العذاب أن الله يريك طريق الرشد فما يجعلك من سالكيه وأن الله يريك سبيل الغي وتعلم أنه غي وتعلم أنه ضلال ثم تجد نفسك تنساق له. فكيف لا يكون لك نصيب من الانكسار بين يدي الله؟ كيف ما تسأل الله أن يثبتك في زمن كثر فيه تساقط وانزلاق الأكابر؟ من يعطيك الضمانات أنك لن تكون من هؤلاء؟

اللهم يا ولي الإسلام وأهله مسّكنا بالإسلام حتى نلقاك، يا حي يا قيوم برحمتك نستغيث، أصلح لنا شأننا كله ولا تكلنا لنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك ولا أكثر.

بإمكانك متابعة وقراءة محاضرات رواء الاثنين، من خلال زيارة مدونة رَوَاء : https://rawaa.org/

هناك جزء آخر متمم لهذا المستند بنفس العنوان